جمهورية مصر العربية	**١٠ جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ**
وزارة الأوقاف	**١٥فبراير ٢٠١٩م**

(١)

النظافة والجمال من سمات المجتمع المتحضر

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ القائل في حديثه الشريف : (إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ فَمَضْمَضَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ ، فَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ ، وَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ ، ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ) ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه ، وَعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإحسانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعــد :

فمما لا شك فيه أن النظافة من أمور الفطرة التي جبلت عليها الطباع السليمة ، وسمة من سمات الأمم والمجتمعات المتحضرة ، ودليل النُبل والمروءة الآدمية ، كيف لا ؟ والدين والحضارة والرقي والإنسانية كلها تدعو إلى نظافة الجسد والمكان والثوب والمنتديات العامة ، لانعكاس ذلك على الصحة العامة من جهة ، وعلى سعادة الإنسانية وبث روح الجمال والبهاء من جهة أخرى ، ولا خلاف أن البيئة النظيفة دليل على رقي من يعيش بها .

ولقد اهتم الإسلام بأمر النّظافة اهتمامًا بالغًا ، فأمر أتباعه بها ، وحثَّهم عليها ، ورغّبهم فيها ، وجعلها سبيلًا وطريقًا موصلًا إلى محبة الله (عز وجل) ، وامتدح الحق سبحانه وتعالى أهل مسجد قباء لحرصهم على الطهارة والنظافة ، فقال جل شأنه: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن

يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}، وبيّن نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن الطهور نصف الإيمان ، أي نصف الدين ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ، أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ)، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ) ؛ وذلك حرصًا منه (صلى الله عليه وسلم) على طيب رائحة الفم وعدم إيذاء الإنسان لأخيه الإنسان بأي رائحة كريهة من شأنها أن تنفر الناس منه.

ولم يُعنَ الإسلام بمجرد النظافة لذاتها ، بل جعلَ الطهارةَ والنظافةَ الكاملةَ للجسدِ والثّوبِ والمكانِ شرطًا لقبُولِ أهَمِّ عِبادةٍ في حياةِ المسلمِ ، وهِي الصّلاةُ ، فشَرعَ الوُضُوءَ للصّلاةِ ، وأوجَبَ الغُسلَ من الجنابة ، وأمرَنَا أن نُطَهِّرَ ونُنَظِّفَ أجسَادَنا وثيابَنَا، فقالَ سُبحانه : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا}، وقالَ (صَلّىَ اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ ، وَلَا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ) ، كما حث نبينا (صلى الله عليه وسلم) على الكمال في النظافة والطهارة ، فعدَّ إسباغ الوضوء مما يرفع الله به الدرجات ، ويحط به السيئات ، فَقَالَ (صَلّىَ اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ) : (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؛ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ).

لقد اتسم الدين الإسلامي بالحرص على هَذَا السُّلُوكِ الحَضَارِيِّ واعتباره جزءًا لا يتجزأ من تعاليمه ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يأمر أصحابه بالمحافظة على الوضوء والطهارة ، ويُبيّن لهم أن المداومة على ذلك صفة من صفات المؤمنين ،

حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ) ، كما حثَّنا النبي (صلى الله عليه وسلم) على الاغتسال في مواطن عديدة ، وبخاصة عند الجُمع والجماعات ، كغسل الجمعة، وغسل العيدين ، والغسل لدخول مكة ، تأكيدًا على نظافة الجسد وطهارته طهارة تامة، ودليلًا على أن الإسلام دين قائمٌ على النظافةِ والطهارةِ .

ولأن النّظَافةَ عُنوانٌ للمُسلِمِ فِي بَدنِهِ ، وَثَوبِهِ ، وحتى في مكان نومه ، فقد حثَّ الإسلام على تنظيف مكان النوم ، والتأكد من خُلوِّهِ مما يمكن أن يسبب الأذى للإنسان ، حيث يقول نبينا (صَلّىَ اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ) : (إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ ، فَإِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ ، وَلْيَقُلْ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّى ، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) .

وكما عُنيَ الإسلامُ بالنظافةِ الخاصةِ – أو الشخصيةِ – عُنِيَ كذلكَ بالنظافةِ العامةِ، فقالَ (صَلّىَ اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ) : (طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ) ، والأفنية تشمل فناء البيت ، والمدرسة والمصنع ، والمنتديات ، والمتنزهات العامة ، كما تتسع لتشمل الطرق والميادين وغيرها ، وقد عدّ نبينا (صَلّىَ اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ) رفع الأذى عن الطريق من شعب الإيمان ، فقال (صَلّىَ اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ) : (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) ، وقال (صَلّىَ اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ) : (إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) ، كما أمر الشرع الحنيف بَنظَافَـةِ الطّرِيقِ وَالأَمَاكنِ العامَّةِ من كُلِّ دَنَسٍ أَوْ أذى ، بلْ جعَل

للطريقِ حقًّا ينبغي أن تُؤَدى إليهَا ، وعدّ إيذاء الناس في طرقاتهم من مستجلبات اللعن .

وكان من هديه (صلى الله عليه وسلم) تكريم من يقوم بخدمة المجتمع – ولا سيما في مجال النظافة – فقد كانت امرأة تَقم الْمسجد على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ففقدها رسول الله (صَلّىَ اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ) ، فسأل عنها ، فقالوا : ماتت ، فقال (صَلّىَ اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ) : (أفلا كنتم آذنتموني) ، فدلوه على قبرها ، فصلى عليها النبي (صَلّىَ اللهُ عَليهِ وَسَلّمَ) إكرامًا لها ، ولما كانت تقوم به من نظافة المسجد المبارك .

إن مفهوم النظافة والطهارة في الإسلام ليس قاصرًا فقط على نظافة أو طهارة الظاهر ، بل يتعداها إلى معنى آخر وهو طهارة الباطن ، فكما كان الإسلام حريصًا على الطهارة الحسية بكل صورها ، كان حريصًا على الطهارة المعنوية بكل معانيها ، كطهارة العقيدة من كل الخرافات التي تلصق بها ، وطهارة الأخلاق من الرذائل والمنكرات ، وطهارة اللسان من كل القبائح والآثام ، وطهارة الفكر من التطرف والانحراف ، وكذلك طهارة القلوب من الغل والحقد والحسد والكراهية ؛ لأن كل هذه الصفات لا تليق بالمسلم الذي يريد النجاة في دنياه وآخرته ، فيجب على العبد العمل على طهارة ظاهره ، وإصلاح باطنه ، فينتفع في دينه ودنياه وآخرته .

إن ديننا الحنيف يدعُو إلىَ أكمَل وأجمَل مظَاهِرِ النظافَةِ والطَّهارَةِ والجَمَالِ الظاهرة والباطنة ، وينْهَى عن كلِّ ألوانِ القُبحِ وَالأذَى الحسِّي والمعنوي ، مِمَّا يتطَلبُ أن نكون على قدر المسئولية في الحفاظ على موارِدِنا المائية سواء أكانت نهرًا ، أم بحرًا ، أم بئرًا ، أم أيَّ مصدرٍ آخرَ من مصادرِ المياهِ ، حتى لا نُؤذِيَ أنفُسَنا أو غيرَنَا ، فإن لَّمْ نَقُمْ بالإسهامِ في نظافةِ بيئَتِنَا ومُجْتَمَعِنَا ومُحِيطِنَا ، فعلى أقلِّ تقديرٍ يجب أن لا نكونَ سببًا في أذىَ الناسِ ، أو أذىَ أنفُسِنَا بإلقاءِ الفضلاتِ ، أو المُخَلَّفَاتِ

في الطُّرُقِ ، أو الأماكنِ العامَّةِ ، فدينُنا دينُ النَّظافَةِ ، دينُ الطَّهارَةِ ، دينُ الجمَالِ ، فَعَلَى كُلٍّ مِنَّا أنْ يَعْمَلَ عَلَى نَظَافَةِ جَسَدِهِ ، وثوبِهِ ، ومكانِهِ ، ومدْرَسَتِهِ ، ومكانِ عمَلِهِ ، وأن يُسْهِمَ قَدْرَ استطَاعَتِهِ في نَظَافَةِ مجْتَمَعِهِ ، حتى يَكُونَ مُجتَمَعًا راقِيًا نَظِيفًا مُتَحَضِّرًا، يُتَرجِمُ إيمَانَهُ بدِينِهِ وقِيَمِهِ إلى سُلوكٍ عَمَليٍّ وواقعٍ ملموس ، وأن يَبْدَأَ كلٌّ واحِدٍ مِنَّا بنفْسِهِ ، ولْيَكُنْ شِعَارُنَا : " معًا لمُجْتَمَعٍ نَظيفٍ مُتَحَضِّرٍ ".

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إخوة الإسلام :

إنّ الدين الإسلامي دين الحضارة والرقي ، دين الكمال والجمال ، دين البهجة والسعادة ، وكل نصوصه وتوجيهاته وطرقه ومسالكه تؤدي إلى ذلك ، على أن الجمال نوعان : حسِّي ، ومعنوي ؛ أما الحسِّي فهو كل ما يثير البهجة ويؤدي إلى انشراح النفس ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ}، ويقول جل شأنه : {وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}، ويقول سبحانه: {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ}، ويقول تعالى : {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}، ويقول سبحانه في شأن السماوات العلا : {وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ}، {وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ}.

وأما الجمال المعنوي ، فهو جمال الجوهر ، جمال القلوب ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) ، فالجمال الحقيقي لا يقف عند حدود الشكل إنما يتجاوزه إلى جمال الجوهر ، وجمال الأخلاق ، وجمال الطباع .

فيجب علينا جميعًا أن نتجمل بجمال الإسلام في سمتنا ، وفي مظهرنا ، وفي بيئتنا ، وفي مدارسنا ، وفي معاهدنا ، وفي حدائقنا ، وفي متنزهاتنا ، وفي أماكننا العامة ، وألا نُشَوِّه معالم الجمال والبهجة بما ينفر الطبع السليم والذوق الراقي، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ)، وعن جابرِ بنِ عبدِ الله (رضي الله عنهما) قال : أتانا رسولُ الله (صلَّى الله عليه وسلم) فرأى رجُلاً شعِثًا قد تفرَّقَ شَعرُهُ ، فقال: (أما كان هذا يَجدُ ما يُسكِّنُ به شَعْرَهَ؟) ، وعندما قدِم النبي (صلى الله عليه وسلم) من سفر ومعه أصحابه قال لهم: (إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ وَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ) .

فما أجمل أن يسود الجمال بنوعيه بين الناس ؛ فترى أعينهم جمالا حسيًّا منبعثًا من نظافة خارجية يقوم بها الناس في أحوالهم وملابسهم وطرقهم وحياتهم كلها، وجمالًا معنويًا يرونه في المودة والمحبة والإيثار ، وتقديم يد العون للغير وحسن الظن بالناس ، و عدم الخوض في الأعراض ، وفي حسن التعامل مع الناس جميعًا.

اللهُمّ طَهّرْ قلوبَنا مِنَ النّفَاقِ ، وأعمَالَنَا مِنَ الرِّيَاءِ ،
وألسِنَتَنَا منَ الكَذِبِ ، وأعيُنَنَا منَ الخِيَانَةِ ،
وارزقنَا الصدقَ فِي القولِ والعملِ ، وأدخلنَا برحمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصّالحينَ .